أقسام الدلالة في شرح الزوزني للمعلقات

أ.يماني مبريك

جامعة بشـار -الجزائر

ملخص :

تعرض أبو عبد الله الزوزني، في شرح المعلقات إلى وقفات دلالية، حيث عُد من الشّراح الذين اتّجهُوا في تحليلهم إلى الجانب المعنوي، بأدوات إجرائية مكّنته من توضيح الغامض من القول .

فانطلقت في مقاربتي، مرتقيا مرقاَةَ من مراقي السّابقين إذْ خاضوا في هذه الإشكالية، وأمدّوها بما احْتملته من تفاسير أذهبت عجمة المبهم من النظم المعلقاتي .

ذلك ما جعلني انتقي منها ما يناسب مقامها، متطرقا إلى أنواع الدلالة، وضعيةً كانت أم عقليةً أم طبيعيةً بطريقة تطبيقية لعلي أظفرُ بالغاية المنشودة من هذه الدراسة الدلالية في الدرس اللغوي من موروثنا العربي والاجتهادات اللسانية في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية :الدلالة – الأثر – المعلقات – السمة – الشرح – الوضعية – الطبيعية – العقلية .

Résumé :

Le commentateur_ Zawzani, en expliquant les pendentifs, et que ses analyses tombent juste sur les aspects morales, dans les domaines de la sémantique en approchant sémantiquement leur ouvrages .Mais aussi exactement au niveau de poème de pendentifs.

Les mots clés : Impact- trace- pendentifs-signe-commentaire- position-naturel-morale.

مقَدمَةٌ

إذا كان المعنى مصاحبا للفظ في أحايين كثيرة، فإن ذلك لا يوافق مفهوم الدلالة، بوصفها مستقلة عن تلك المصاحبة على أساس أنها تتعدى الاقتران ألقصري الحاصل بين اللفظ ومعناه، فيمكن أن تكون من غير لفظ ولا منطوق.

جلي ذلك في تقسيمها الذي لا يرتبط غالبا بملفوظات تميز بين مصطلح الدلالة، في كنف السمة، حينما تجيء تارة علامة، وأخرىٰ رمزا، مثل الغيوم دلّت علىٰ المطر، وإشارة المرور الحمراء دلّت علىٰ التوقف الإجباري، وبين المعنىٰ مرتبطاً باللفظ إذ يفتقر إلىٰ تحصيله لذلك وجدنا نعوتا فرقت الدلالة إلىٰ أنواع قيل أنها متباينة بتباين مدلولاتها، منها الدلالة الوضعية العقلية، الطبيعية[1].

والوضعية تقيم وشائج للربط بين عناصرها، وتحرك علاقات بانية بين أطرافها غدت توسم في البحث العلمي الحديث بأوصاف توافق مسمياتها من حيث استخراجها ألمفاهيمي، بتنويعها إلىٰ تسميات اختلفت ضروبُها تلكم هي : دلالة المطابقة، الالتزام، التضمن فإن الخوض فيها، يسهل الفهم وييسر الدراسة ولقد عانقتها أمثلة حيّة، يمكن استقراؤها من الشروح .

جاءت تضاهي تلك الدلالات بمختلف أصنافها، وانطلاقاً من هذا المعطىٰ، شرعت في مقاربة دلالية، نسجتها علىٰ منوال الخطة المتبعة وهذا العمل اللغوي، واستعنت في ذلك بمنهج وصفي تحليلاً ودراسة مهّد لي الطريق لتطبيق الحاصل من الشرح بأسلوب نظري، ألفيته مبثوثاً في القصائد السبع، فقصرت الجهد علىٰ المادة المتعلقة بفحوىٰ موضوعي هذا بمقاربة سميائية في الشروح التي تناولتُ متونَها، جاعلا منها عيّنات بحثيّةً تصدر من منبع المعلقات، لتطبيقها علىٰ بعض الأبيات الشعرية مثلما وقفت علىٰ قول الشاعر عند مطلع القصيدة[2]:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّم   بِحَومَانَةِ الدُّرَاجِ فَالْمُتَثَلَّم .

وأبيات أخرىٰ سأتطرق لها في سيرورة المقال.

أقام الزوزني أبو عبد الله صرحاً نثريا لشروح المعلقات، فرام العديد من المستويات اللغوية في توضيحاته، ونشير في هذه المقالة إلىٰ ما توصل إليه من المستوىٰ الدلالي إن علىٰ

الجانب اللفظي بمدلولاته أو الجوانب الأخراة، غير اللفظية بوصفها سمات، تجتلب في مسالكها العقلية والطبيعية وغني عن البيان أنّ هذا الصنف من الدلالة كثيرُ التواجد في أصول اللغة من مصادرها العريقة مثلما أشار إليه القرآن الكريم في قول الله تعالى[3]: ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾

هنا جاءت الدلالة مادّية، بأثر مرئي واحتوت الآية عناصر الدلالة، دالاّ، مدلولاً، دليلاً، وبفعل الدلالة حسّيّة لا مجردة، كالتي يُستدل عليها بالصورة السّمعية باللفظ الوضعي، لتروم بعد ذلك الصورة الذهنية حينما نبحث عن معنى لفظة(شجرة) " أو يُرى رسمُها المخطوط، هنا إمّا أن تكون القناة مرئية أو مسموعة فبمجرد التوصيل والاتصال إنّ على مستوى المنطوق اللفظي أو المنظور الخطي يتبادر إلى الذهن بالتواضع والاصطلاح تلك الفصيلة النباتية ذات الأفنان الخضراء.

ويمكن إجراء هذه التطبيقات في المجال الدلالي وفقاً للخطاطة الآتية [4]:

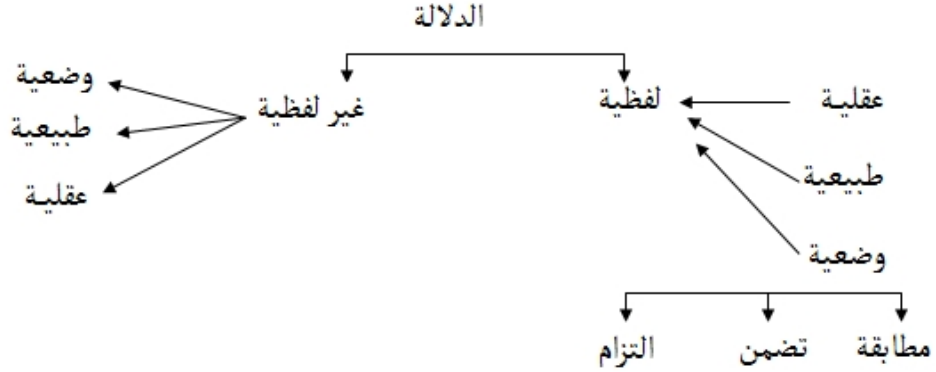

الدلالة الوضعية: هي تلك العلاقة الناشئة بين الفظ والمعنى بعد وضع واصطلاح بدئ.

والعقلية ما يستشفه المتلقي في علاقة رابطة، ووشيجة موصولة من الدلالة الغائبة باستحضارها لحقيقة حاضرة، الدلالة المستحضَرة، والدلالة الطبيعية من الدال إلى المدلول

ويمثل لها : بالحمرة على الخجل والصفرة على الوجل[5] ويرى عبد العزيز عتيق[6] مثالًا قول عنترة حينما تشابه عنده لمعان السيوف في ساح الوغى، بابتسامة عبلة وهي فاغرة فاها بأسنان كالأقحوان، يرى عبد العزيز عتيق أن هذه الصورة الصناعية غدت في وجدان الشاعر دلالة طبيعية تلتمس حقيقة الشعور والحب الذي ألمَّ بعنترة حاله كونه يقارع السيوف، فجثمت على مخياله تلك الصورة التي فجّرتها الذكرى في مصوراته الذهنية بمفهوم الطبيعة الإنسانية.

إذا كان العمل السابق تصنيفا للدلالة من حيث تقسيماتُها، وأخذت لنفسها أشكالاً متباينة فمنها الوضعية، فالطبيعية، فالعقلية، فإن استقرائي لشروح الزوزني دلّني دلالة لا يساو رني ريب أن هذه الأنواع من الدلالات تجلت معانيها في قراءتي هذه فارتأيت مقاربتها في هذه الشروح، ومن المنطق أن أنطلق من الدلالة الوضعية بوصفها الدلالة "الأثل" في الأنموذج البدئي أثناء المعالجة لصنوف هذه المفاهيم.

الدلالة الوضعية:

ما دامت الدلالة الوضعية تجد تعريفها، وتطابق تأليفها في علاقة اللفظ بمعناه، فلا جرم أن نقارب هذا النوع من الدلالة في حظيرة المشترك اللفظي الذي يكون أصفى صورة لهذا النمط، النوعي من مستويات اللغة في الدراسات اللسانية، وعلى هذا الأساس، نجد مندوحة بالوقوف على تعريف المشترك اللفظي لإجراء هذه المعالجة اللغوية والتحليل اللساني، إذْ ذهب أهل الأصول بأن اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة.[7] ولم يخل الشرح الزوزني من تبيان هذا التعدد وما حاز عليه من موافقات مشتركة حاصلة بين الرباطات المعنوية وفقاً لشرح هذه الأبيات[8]:

أَمِنْ أُمّ أَوْفَى دمْنَةٌ لَمْ تَكَلّم بحَومَانَة الدُّرَاج فَالْمُتَثلّم .

وقال طرفة :

وَإِنْ يَقْذفُوا بالقَذْع عرْضَك أَسْقهمُ بكَأْس حيّاض المَوْت قَبْلَ التّهدّد.

ها هو الزوزني يبيّن ما لكلمة الدمنة وكلمة العرض من تعدد الدوال وللإشارة إلى شرحه لمفردة الدمنة قائلاً الدمنة [9]: ما أسود من أثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما.

والجمع الدمن، والدمنة الحقد، والدمنة : السرجين وهي في البيت بالمعنى الأول.

أما مفردة العرض: فشرحها بمعان عديدة، زدنا عليها حسب ما تواجد في المعجم الوسيط من معان إضافة تفرعت من لفظة العرض، ومن هذه الصور الذهنية لتلك الصورة السمعية الواحدة أنها تروم : العَرق، السحاب العظيم، الرابحة أيّا كانت، الوادي فيه شجر، النفس، الحَسب، موضع المدح والذم من الإنسان، وقد وظّفت هذه اللفظة في قصيدة لي في قولي :

تَجَلَّتْ سُعادٌ بِطَيْفِ الظَّعَامِ فَخِلْتَ غَزَالاً بِعِرْضِ الآرَامِ.

والبيت في معلقة طرفه يرمي إلى موضع المدح والذم من الإنسان بدليل لفظه القذع، التي أفادت الرمي، إنّ أدق تفسير للتعدد الدلالي تجلى في المشترك للفظي الذي تتحد فيه الصورة السمعية، ويختلف مدلوله من سياق إلى آخر [10] ولنا في هذه الترسيمة ما يفي بحاجتنا، ويبين لنا ما نقصده من دلالة وضعية تعددت أمثالها لشروح الزوزني.

الخطاطة:

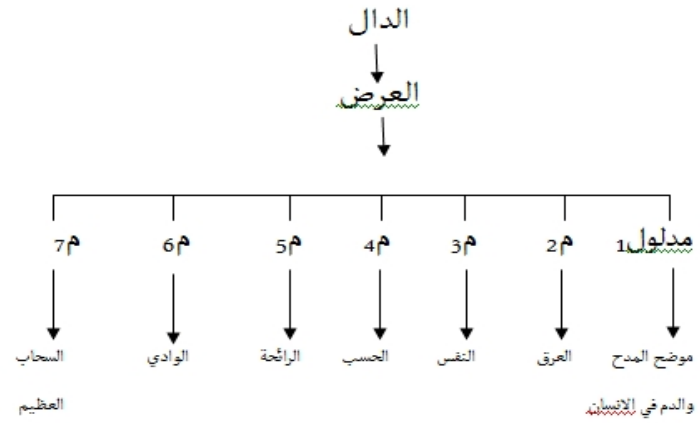

و أيضاً في بيت بن أبي سُلمى :

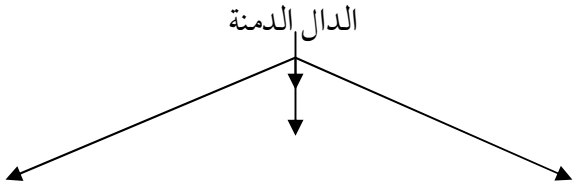

والشيء نفسه بالنسبة للفظ العرض فالمتدبر القارئ في تلك الصورة السمعية للفظة "دمنة" وذلك التتابع الصوتي في الجذر د، م، ن بإضافة تاء التأنيث فيعلم ما لهذا التراص اللفظي ولهذه الحروف من معان تعددت مدلولاتها من مجال إلى آخر، فالمدلول الأول : السواد الحاصل من مخلفات المنازل، وتناثر البعر.

المدلول الثاني : المرض الكامن في القلب المعبر عن الحقد الدائم

المدلول الثالث: السّرجين : وهو الزّبل تستمد به الأرض فأشار الزوزني إلى ما يصاحب لفظة الدمنة من انزياحات استعمالية، تصل إلى فحواها عبر السياق اللغوي دون سواه فكشف عن سعة اللغةو امتدادها التواصلي بواسطة العدول الحاصل في مفرداتها، الشأن ذاته في تطرقه إلى لفظة العر ض، فجاءت متناسقة تأرز إلى جوهر الدلالة الوضعية بعناصرها البانية، فكانت مناسبة لهذه الدلالة بتقسيماتها السابقة.

الدلالة العقلية : تباينت هذه الدلالة، بين المادية والمعنوية، وممّا جاء ماديا تجلى في نتيجة الأثر، أو دلالة الأثر، حيث استعمل الزوزني العلامة بوصفها دليلاً مادياً للعثور عمّا يبحث عنه بعد عشرين سنة من الهجران والغربة، وأثناء مروره بمكان الأحبة هاجه الشوق، وأثار فيه الذكريات أيام الصبا وغضون الشباب فانبرى ناظما ما جادت به القريحة قائلاً [12]

وَقَفْتُ بِها من بعد عشرين حِجة فلأيًا عرفت الدّار بعد توهّم

أثافي سُفعاً في معرس مرجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلمِ

في الشرح يستعمل الزوزني هذه العبارة : يريد أن هذه الأشياء دلّته على أنها دار أم أوفى. و استندت في مقار بتي هاته على المفهوم السيمبائي الذي وظفه الزوزني لهذه العبارة إذ وظف الشارح فعل :{**دلّ** }كأداة إجرائية صريحة يشير بها إلى أركان العلاقة القائمة بين عناصر السمّة : الدال والمدلول.

لعلَّ حبار مختار تحدث عن الكيفية التأويلية التي عالج بها الزوزني هذا البيت بقوله[13]: "و كأنه بذلك يقوم بما يمكن أن تسميه (سيمائية الكتابة) التي يستحضر فيها المنشئ من تلقاء نفسه بعض غيّاب نصه في مقابل (سيمائية القراءة التي يُتم فيها القارئ ويشكل ما غاب من النص من دلالات أي أن الشاعر يقدم بعملية الوسم، والقارئ يقوم بتأويل ذلك الوسم"

العلاقة بين السمة (الأثافي + النؤي) علاقة مادية والموسم (معرفة الدار)، فبعد التوهم الحاصل من الفراق الطويل والعهد البعيد، بالوصال والاتصال، والمشقة التي تكبدها الشاعر فإذا به عاثراً على ذلك الدال المادي الذي أذهب عنه الوهم والمشقة، وأبعد عنه اللبس، وأنار له الطريق فدله دلالة إيصال تمكن من خلالها معرفة دار المحبوبة، فالسمة تكون مادية كما تكون طبيعية وقد عرفها عبد المالك مرتاض بقوله[14]: " وبذلك يمكن أن يكون مفهوم السيمة معادلاً من كثير من للوجود للقرينة والقرينة indice أو السمة ظاهرة غالباً ما تكون طبيعية قابلة للإدراك بصورة مباشرة * وفعلاً كانت تلك الآثار وبقايا المنازل قرينة لازمة للكشف عن المدلول الغائب بعد مضي الزمن وتقادم العهد وربما كان الظرف عشرين حِجة لم يتواصلا .

مواصلة لإثبات الدلالة العقلية في الشروح فالنشفع هذا التحليل بدراسة أخراة تضمنت تفسيراً جلياً وتبياناً ساطعاً لهذا النوع من الدلال بواسطة المقاربة والمقارنة بين الأبيات الموالية على التوالي : قال عنترة (15) :

تُمسي وتُصبحُ فوق ظهر حشية و أبيت فوق سراة أدهم مُلجم

ويؤكد بن شداد :

يدعون عنترة والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

و يقول الملك الظليل :

كأنّ دماء الهاديات بنحره عُصارةُ حنَّاء بشيب مّرَجَّل.

سأقدم تطبيقاً يناسب زعمي حول هذا النوع من الدلالة متجهاً إلى العلاقة الرابطة بين المنطوق من الكلام والمفهوم من القول، بمطابقة الصورة السمعية بصنوتها الذهنية، معرجا بالتقصي والبحث عن إجابة لسؤال تبادر في ذهن القارئ إذا كان فرس بن شداد ذا اللون الأدهم فما لون فرس الملك الظليل يا ترى؟ قبل الخوض في التفتيش عن مزعم القول، نستأنس ببعض المعاجم لتأكيد اسوداد المحمحم عند ابن شداد، ولم ينثن عنترة عن الإفصاح بما يميز المُلجَم من لون خصّه بالذكر قائلاً مرة: سراة أدهم ملجم، وأخرى واصفاً إيّاه أشطان بئر في لبَان الأدهم والأدهم أصل : دهم : غشيان الشيء في ظلام ثم يتفرع فيستوي الظلام وغيره [16] ,أدهم الفرس : اسودّ [17]: وفي القرآن الكريم : قال تعالى " مدهامّتان " [18]أي سوداوان، من شدّة الخضرة [19]:والدهماء القِدر بما اعتراها من اسوداد نتيجة تعرضها للسعير[20] ومنها قولهم : نصبوا الدّهماء أي : سوداء فلا مراء إن قلنا بعد هذا الفسر والتوضيح بأن فرس ابن شداد كان أسوداً ادهما، إذن فما لون فرس ذي القروح؟

تقتحم سوياً لاستقصاء الحقيقة والوصول إلى النتيجة بإجابة شافية بواسطة الدلالة العقلية من إحدى المسالك الاثباتية لمعرفة هذا اللون، استدراجا للقراءة في البيت الثاني[21]

كأنّ دماءَ الهاديات بنحره عصارةُ حِنّاء بشيبٍ مُرجّلِ.

احتوى البيت على مفردات أشارت إلى عدّة ألوان، ومن المعلوم بالنقل والعقل أن لون الدّم أحمر، وعصارة الحناء هي كذلك أمّا الشيب، فذو اللون الأبيض، فباستنطاق المعاجم مرة أخرى للتأكد واثبات هذه القرائن المنطقية، التي استندت عليها للإجابة عن غامض القول، أو لاستحضار الغائب بواسطة الحاضر والرد عن سؤالنا بمقصدية الفهم بأسلوب علمي وبالاستقراء لهذه المفاهيم من أصولها، منتهجا إحدى المسالك العقلية في البرهان عن حقيقة اللون، وإقامة الحجة في تثبيت، ذلك اللون الذي اتصف به فرس امرئ القيس، فيكون المسلك الأقرب لنمسك بمبرم الهدف، ومعقود الغاية، هو مسلك القرائن الراجحة بوصفه القرينة المنطقية التي تهدي السبيل، مضاهاة لما أتى به عبد السلام المسدي في تفريعه لمسالك الدلالة العقلية بقوله " يتحول الفكر من الحقائق الحاضرة إلى حقيقة غائبة عن طريق المسالك العقلية بمختلف أنواعها." [22]

وبهذا يستشف المتلقي بسلوكه المنهج العقلي أن فرس ذي القروح كان أبيضاً وعلى أقل تقدير كان أبيض اللبان استنباطاً من القرائن التالية:

الدم أحمر اللون (أصل)	←	(الفرع) العصارة حمراء اللون
الفرس أبيض (الأصل)	←	(الفرع) الشيب أبيض اللون
الدلالة الطبيعية	⇐	حمرة الدم + لبان الفرس ؟
الدلالة الوضعية	⇐	حمرة العصارة+ الشيب ؟
الدلالة العقلية	⇐	حمرة العصارة + الشيب كأنها حمرة الدم ؟

إذن الشيب لونه أبيض

عصارة الحناء حمراء = لون الدم أحمر

و الشيب أبيض = ؟

الحاضرة = عصارة الحناء + الشيب، الدلالة الغائبة .

هده المقاربة في التشبيه، تمكّن القارئ من الحصول على الحقيقة الغائبة من مسلك القرائن الراجحة، وكذلك تضارع إلى حد كبير عملية التماثل المركزي للقطعتين إذ إن أداة التشبيه {كأنّ } تعد النقطة المركزية التي تمنح القارئ البصيرة، وتمده أيضا باليقين العيني بأنها شكلت النواة الوسطية للتماثل بين التشبيهين الشيب الأبيض مغلوث بعصارة الحِنّاء، ونحر الفرس؟؟ مطلي بدماء الهاديات. فالتقابل الواقع، والتطابق بين حمرة الدم وعصارة الحناء لصيقة بالشيب الأبيض، والنحر ؟ الغائب ليكتمل المعنى وتتم الدلالة، كما عبر عن ذلك مرتاض، هو اللون الذي شاب اللبان، وحسب القرينة indice يكون اللون أبيضاً، لتكتمل أطراف المعادلة .

وإذا استعملت القرينة العقلية لإحضار الغائب بدلالة الحاضر في بيت امرئ ألقيس، وكانت النتيجة أن لون فرسه، **"أبيض"**، مثلما تبين من المقاربة للنص الشعري، ولم يشر إليها الزوزني رغم أنه مال ميلا كبيرا وبكل إصرار إلى التركيز على الجانب المعنوي، فكانت المجهودات التي بذلها للكشف عن غريب المعاني مضارعة لما أتى به عبد الواحد لؤلؤة في حديثه عن السياق نفسه قائلا: (قراءة القصيدة بإمعان مع التحقق من معاني الكلمات التي تستوقف القارئ لغرابتها الظاهرة من أحسن ما يستطيع فعله قارئ يريد إن ينفذ إلى أغوار الصور الشعرية.) [23]

والطريقة نفسها انتهجها الزوزني ليصل إلى مدلولات النص الأدبي من وسائل تحليلية في الجانب المعنوي وبالحفر في تراكيبها والغوص في دلالاتها النصية، يتم الكشف عن كوامنها الإبداعية، فكان يقاني بين العناصر اللغوية بغية الاطلاع إلى فهم ثاقب ومعرفة نيرة فكان له ذلك بتنويع أساليبه الإجرائية في الدراسة التي توصل بها إلى تلك المعاني فتارة يستند إلى مصطلح الحمل على الظاهر وأخراة إلى الحمل على المعنى، ومرات إلى المعاني النحوية أو الصرفية أو الصوتية، وأحيانا ما يسمى بأسلوب الالتفات، ولم يهمل معالجة ما ألفاه مبثوثا في

النظم ألمعلقاتي من أنواع الدلالات منها دلالة الحـذف من جوانبها الثلاثة في تقسيم الكَلِمِ كانت اسمية أم فعلية أم حرفية.

وعلى هذا الأساس شرعت في إخراج هذه المعالجة الدلالية، فانتقيت عنصرا زعمت أنه ركن من أركان التقسيم الدلالي في شرح الزوزني ذلكم ما وُســـمَ دَلالةُ الحَــذْفِ.

دلالة الحـــــذف:

الحذف وسيلة من وسائل التبليغ والتواصل الخطابي، استعملها العرب في نظمهم ونثرهم وجاء بها التنزيل الحكيم فارتبط وجودها بوجود العربية في مهدها الأول فهي من أساليب العربية إذ يعدَّ الحذف خاصية جليلة من خصائص العربية وأمارة من أمارات الاقتصاد اللغوي عليها وعمدة فريدة من نوعها ومسلكا حميدا أظهر سعة العربية عن نظائرها يرى عبد القاهر الجرجاني أن الحذف مزية عظيمة فهو وجه من وجوه الفصاحة والإبانة على نحو ما تجلى في قوله: ((فانك ترى ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للفائدة انطق ما يكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن.))[24]

والمتمعن استقراء في شرح الزوزني يلفه قد تطرق إلى هذه المزية العظيمة من وجوه الفصاحة العربية ونشر بيانها على مستويات ثلاث اسمية فعلية حرفية ولنبدأ بأولها كما جاء على ترتيبها على التوالي:

دلالة حذف الأسماء:

وصل الزوزني إلى مرامه وتلقف مبتغاه، واقفا على ما خفي من النظم وما توارى عن الأنظار والأبصار من أسماء محذوفة في القصائد السبع، فمما أشار إليه من هذه المحذوفات، حذف المضاف، حذف الموصوف حذف المفعول به، حذف المبتدأ، وغيرها من الأسماء التي توارت للإبانة والاقتصاد، ولم يكن الزوزني الوحيد الذي عالج مسألة الحذف بل تهافت عليها معاصروه من علماء اللغة مثل الجرجاني، وخلَفَوهُ مثل الزمخشري متحدثا عن هذه

القضية ابن يعيش **"بالمفصل"** في فصل المضاف قائلا :"وإذا أمنوا الالتباس، حذفوا المضاف، وأقاموا المضاف إليه مقامه وأعربوه بإعرابه، والعلم فيه قوله عز وجل : **"واسأل القرية "**[25] لأنه لا يلبس أن المسؤول أهلها لا هي ..."[26] وجعلها حسين حامد الصالح مثالا على القرائن العقلية[27]في مؤلفه: **"التأويل اللغوي في القرآن الكريم"**، وكان الزوزني بصيرا بعلوم العربية إذ جعلته هذه البصيرة يتحرى المحذوف من الكلم، ويعمل تلك القرائن العقلية لملء الفراغات الدالةو المُبينة وشبيه بهذا معالجته لهذه الأبيات :

قال امرؤ القيس :

تَصُدُّ وتُبْدِي عنْ أَسِيلٍ وتتَّقي *** بنَاظِرَةٍ منْ وحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ**

علّقَ الزوزني على عبارة **" مِنْ وحْشِ وَجْرَةَ "** إن التركيب يحتمل حذفا يستحسن تأويلُه على هذا الشكل فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه مستدلا بقول الله تعالى : **"واسْأَلِ القَرْيَةَ"** أيْ أَهْلَ القَرْيَةِ .

والأمر ذاتُه بالنسبة لمحذوفٍ وقع قبل لفظة أسيل مقدرا التركيب لإجلاء المعنى بإضافة المنقوص متمثلا في الموصوف لصفة أسيل وهي : **خد أسيل** لإعلام القارئ وترسيخ الدلالة في ذهنه يزكي فَسْرَهُ بمعنى آخر مشيرا إلى قولهم : مررت بعاقل، أي إنسان عاقل، ومن جهة المحذوفات الاسمية التي أماط عنها اللثام في شروحه ما وجده في الأبيات الموالية :

إلى مثْلِها يرنُو الحَليمُ صَبَابَةً * إذاَ مَا اسْبكرّتْ بيْنَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ**

ضَليعٍ إذَا اسْتدْبَرْتَهُ سَدّ فرْجَهُ * بضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ ليسَ بِأَعْزَلِ**

وكذلك عند طرفة بن العبد :

تَرَبّعَتِ القُفَّيْنِ في الشَّوْلِ ترتعي* حدائقَ موْلِي الأســـــرّةِ أَغْيَدِ**

تَريعُ إلى صَوْتِ المُهيبِ وتَتّقي * بذِي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَفَ مُلْبَدِ**

لَهَا فَخِدانِ أَكْمِلَ النّحْضُ فِيهِمَا ***كأَنّهُمَا بَابَا مُنيفٍ مُمَرّدِ

جَنُوحٌ دُفَاقٌ عَنْدَلٌ ثُم أُفْرِعَتْ *** لها كَتِفَاها في مُعَالىً مُصَعّد
كأنّ عَلُوبَ النّسْعِ في دَأَيَاتِهَا *** مَوارِدُ من خَلْقَاء في ظَهْرِ قَرْدَد
وخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّآمي ومِشْفَرٌ *** كسَبْتِ اليَماني قَدُّه لَمْ يُجَرَّد

و وجه الاستشهاد في الأبيات:	الشاهد:
في البيت الأول : بين درع ومجول	بين لابسة درع ولابسة مجول
في البيت الثاني : بضاف فويق الأرض	بذنب ضاف
في البيت الثالث : ترتعي مولى الأسرة أغيد	وادي مولي الأسرة
في البيت الرابع : كأنها بابا منيف ممرد	بابا قصر منيف
في البيت الخامس : لها كتفاها في معالي	ظهر معالي
مصعد	كقرطاس الرجل الشآمي
في البيت السادس : كقرطاس الشآمي	أي البقر العين
في السابع :العين والآرام	أي تخطئه
في الثامن : ومن تخطئ	:كأنها سحابة صهباء
في التاسع :كأنها صهباء	أي عينا مسجورة
في العاشر: مسجورة متجاور أقلامها	

وعند ابن ابي سلمى :

بِهَا العِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً *** وأَطْلاَؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلّ مَجْثَمِ
رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ *** تُمِتْهُ ومَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فيهرَمِ

وفي قول لبيد بن ربيعة :

فَلهَا هِبَابٌ فِي الزِّمَامِ كَأَنّهَا *** صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الجَنُوبِ جَهَامُهَا

اجتزأت بهذه النتفة من الأبيات في معالجة الزوزني لدلالة الحذف في الأسماء، وأعرضت عن البقية من هذا الباب لطبيعة المقال، مبتعدا في اختياري هذا عن الإخلال.

خص الزوزني بالذكر حذف المفعول به، حذف المبتدأ مستعملا ألفاظا وعبارات للكشف عن غائر المحذوف، بتوظيفه لدلالة: كذا عن كذا، أو اجتزاء كذا عن كذا .

مما يستنتج أن الشارح اعتصم بحبل الدراسة الدلالية في هذا النطاق من النشاط الذهني الذي صب في قالب المعنى الخفي في الدلالة الوضعية وحلولها محل الدلالة العقلية التي استنبطها الزوزني من تلك المحذوفات.

في البيت الأول يرى الزوزني تقديرا لكلمة يراها غير مبينة في الشطر الثاني معوضا فراغها على الشكل التالي :

إذا ما استبكرت بين لابسة درع ولابسة مجول، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وفي البيت التالي : أراد بذنب ضاف فحذف الموصوف اجتزاء بدلالة الصفة عليه .

كأنّ الشارح جعل **المقياس النحوي**، مسلكا من مسالك القرائن العقلية، والنقلية للتعويض، والتقدير، فكان له ذلك وفقا للمعيارية النظمية في اللسان العربي، وبالطريقة نفسها يقف الزوزني على دلالة المحذوف من الأسماء سواء موصوفا أو مبتدأ، أم مفعولا به، أم مضافا إليه .

دلالة حذف الأفعال :

تضمنت اللغة العربية كذلك قضية حذف الأفعال وخصها ابن هشام بالدراسة قائلا:"ويطّرد حذفه مفسرا، ويكثر في جواب الاستفهام، وأكثر من ذلك كله حذف القول، ويأتي حذف الفعل في غير ذلك ..."[28] ومن الأبيات التي احتوت على هذا النوع من الحذف ما أبان عجمته الشارح في قول امرئ القيس :

فَيا لكَ مِنْ لَيْلٍ كأنَّ نجُومَهُ * بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ**

فقدر حذف الفعل قبيل لفظة **" بأمراس "** بلفظة **"ربطت "** فحذف الفعل لدلالة الكلام على حذفه. تعانقت الدلالات وتشابكت في هذا الحذف، دعما لما نقله الجرجاني بان الحذف

يكون أحيانا أبين من الذكر فإذا تأمل القارئ أي قسم من الدلالات يوسم هذا الحذف، أم أي مسلك من القرائن نثبت مزعمنا في دلالة الكلام على الحذف يتبين لنا معان عدة ووجوه متفرقة إذ قيل إن الدلالة عقلية يعول على التشبيه في عبارة" **كأنّ نُجُومَهُ** "بطرح السؤال ما لها وكيف في الإجابة عن السؤالين أقام تقديرا محتملا .

وفي الحالة الثانية : "أن الدلالة وضعيةٌ " : فالتقدير الفعلي للمحذوف في قول الشاعر " بأمراس كتّان إلى صم جندل" يأرز إلى استعمال لفظة قد اصطلح عليها وتم التواضع عليها تبرر ما بعدها من الألفاظ البانية للنظم الشعري : المرس، الحبل ولفظة الكتان : تفيد اللصق، أما الصم = الحجر الأملس، والجندل = الحجر الكبير العظيم، فالحقل الدلالي للمفردات في المعجم اللغوي دلَّ على المحذوف إما رُبِطَ، أو أُلصِقَ .

وفي الحالة الثالثة : " الدلالة العرفية " أي ما تعارف عليه القوم في شؤون حياتهم، واعتادوه ألفة ودَيْدَنًا، إذن لا مناص من التقدير العرفي للفظة الربط أو المرس أو اللصق، لينسجم الكلام ويستوي عوده في التراص اللفظي، فان تشابك مسالك القرائن الدلالية وتعالقها جعلنا نؤكد ما ذهب إليه الجرجاني سابقا.

واستئناسا بقول طرفة ودعما لهذا الوجه من الحذف البياني في صنوف النظم المعلقاتي قوله :

وانْ يَلْتَقِ الجَمِيعُ تُلاَقِني *** إلى ذِرْوَةِ البَيْتِ الشَّرِيفِ المُصَمّدَ**

أي تلاقني يريد **" أعتزي إلى، أي انتمي إلى"** وهكذا دواليك .

دلالة حذف الحرف

تتميز أحوال الحروف حسب الحالة التي تجيء عليها أو تنعقد بها وجودا وعدما، ظهورا وإضمارا، حذفا وذكرا حلولا وإنابة، زيادة أم نقصانا، تأتيك منها الإفادة في الذكر كما في الترك، وبالتتبع والقراءة في المتن الشرحي الزوزني، يجد القارئ ضالته المنشودة في أحكام

هذه الصنوف من المحذو فات الحرفية، ولنا في هذا البيت صورة يقدر فيها الشارح ما حذف من البيت تبيانا لما نحن بصدد دراسته .

قال طـرفة :

وعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ اسْتَكَنَّتَا * بكَهْفَيْ حِجَاجَيْ صَخرَةٍ قَلْتَ مَوْرِدِ**

أي :حجاجين من صخرة، ويضرب مثلا بعبارة متداولة في البيئة العربية والوسط المعيش، إبّان تلك الحقبة من الزمن تلكم هي : **"باب حديد أي باب من حديد "** ولم تزل إلى يوم الناس هذا .

إن الهدف من هذه المعالجة اللغوية في مستواها الدلالي وعلى وجه الخصوص في نطاق الحذف والذكر، ندلل على إمكانية تعالق الدلالة بأقسامها في هذا الضرب الفني من ضروب المعرفة اللغوية من جانبها المعنوي، مثلما بينا في حديثنا السالف عن الدلالة المادية بوصفها سمةً أو علامة، لم يهملها الزوزني في شروحه حينما أشار إلى الأثافي أيٍّ المنصب الأدهم وتناثر البعر والسرجين ورماد الملة، والقدور، كونها أمارات دلّته على ديار المحبوب بعد أمد بعيد وبونِ الشوق فاهتدى إليها بعد عشـرين عاما بالمدلولات المادية

خـــاتمة:

إن الشّارح الزوزني اتّخذ لنفسه منهجية استطاع بواسطتها الإلمام بتقنيات ووسائل توصف في البحث العلمي الحديث بأنها علمية، صيغت بطريقة إجرائية ساعدته على الغوص في أغوار المعاني من تلك القصائد السبع. .

فلم ينثن عن إبرام عقود معرفية في معاطن تعددت فيها الدلالات وبالتالي وصل إلى مقصده في نثر المنظوم بطرائق ميسرة للفهم، جعلتني أقارب هذه الشروح بما يستنتج من مفاهيم معنوية تخص الجانب الدلالي من القول.

كانت المقاربة الدلالية في شرح المعلقات للإمام أبي عبد الله الزوزني منتجةً لتطبيقات إجرائية ماثلت منوّعات الدلالة بتقسيماتها الوصفية وضعية كانت أم طبيعية أم عقلية، فتطابق شرح الزوزني مع التحليل اللساني للدلالة مثلما وصفها عبد السلام المسدي، في مؤلفه " اللسانيات وأسسها المعرفية " ونقلها عنه الكاتب منقور عبد الجليل، في كتابه "علم الدلالة"، وفي هذه المقاربة توصلت إلى إثبات هذه المفاهيم بأسلوب علمي قرّبَ إلى الأذهان تلك المعاني الدلالية من جانبها النظري فكانت أبيات القصائد السبع حقلاً لتجارب أفادت هذه التفاسير فيما احتوت عليه من دلالات أضحت جلية بعد تنفيذها في منثور الشروح الشعرية، وآية القول لتبيان النتيجة التي آل إليها التحليل المُتّخذُ في شأن قول امرئ القيس :

كأنّ دمَـاءَ الهَاديَاتِ بنحْرِه ** عُصَـارةُ حنّاء بشَيْبٍ مُرجّلِ

وهكذا تمّ استخراجُ اللّون الأبيض منْ مسلك القرائن الراجحة من نوع الدلالة العقلية، وما تبنّته الدراسةُ في مجال الدلالة الوضعية في قالب المشترك اللفظي من تلك الشروح.

الهوامش :

1 – عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية المطبعة العربية تونس (دط)، 1986، ص45

2–الزوزني أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بيروت 1969.

3– سورة سبأ الآية 14، –4–منقور عبد الجليل، علم الدلالة، منشورات اتحاد كتاب العرب (دط) دمشق، 2001، ص65

5– المرجع نفسه، ص60

6 – ينظر عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي ص 87

7 – عبد الرحمان جلال الدين السيوطي (911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مج1، دار الفكر لبنان، (دط)، (دت) ص 369 .

8 – الزوزني أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بيروت 1969 ص 144، 160 .

9- الزوزني المصدر نفسه ص 160 .

10- مرتاض عبد المالك، بين السمة والسميائية، مجلة تجليات الحداثة جامعة وهران العدد 01، سنة 1992ص .59

11- الزوزني المصدر نفسه ص 161 .

12- الزوزني المصدر السابق ص 281 .

13- حبار مختار، أسلوب التمثيل في شعر عدة بن تونس، مجلة دورية يصدرها مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر جامعة وهران العدد الثاني، سنة 2005 ص73 .

14- مرتاض عبد المالك، بين السمة والسميائية .

15- الزوزني المصدر السابق .

16- أحمد بن فارس (ت395 هـ)، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة، بيروت لبنان (دط) 1414 هـ، ص 368 .

17- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، استانبول، تركيا ط 2، سنة 1972 ص300 .

18- سورة الرحمان الآية 64

19- محمد علي صابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص281 .

20- الزمخشري أبو القاسم، أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة، بيروت لبنان ط1، سنة 2006 ص199 .

21- الزوزني المصدر السابق ص98 .

22- عبد السلام المسدي، المرجع السابق ص 47 .

23- عبد الواحد لؤلؤة، البحث عن المعنى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص114

24 – عبد القاهر الجرجاني (ت 471 ه)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صححه الشيخ محمد عبده والأستاذ محمد محمود التركزي الشنقيطي، درا المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص 106

25- سورة يوسف، الاية 82

26 – ابن يعيش (643ه)، شرح المفصل، ج3، عالم الكتاب، بيروت لبنان، دط، دت، ص 23

27 – ينظر حسين حمد صالح، التأويل اللغوي في القران، ص 151

28- ينظر ابن هشام، مغني اللبيب، ص 827